

علم الكلام ودلالات المصطلح

د. بن مصطفى دريس / جامعة سعيدة

د. ياسمين فيدوح / جامعة عبد الحميد بن باديس مستغانم

في البدء :

قراءة العلم من العنوان مدخل رئيس لفهم محتوياته، وأبعاده، فالعنوان إشارة خارجية، وترميز للدلالات التي يحملها الاسم في رحمه، والتواضع على اسم لعلم ما، مسألة إشكالية تضع المتلقي بين إمكانات دلالية مفتوحة على معاني متعددة، تأخذ أحيانا صيغة التضاد تارة، والتصادم تارة أخرى. والأصل في الخلاف طبيعة الموضوع نفسه، فالقضايا الإنسانية زبئية، ونسبية، فلا قرار، ولا استقرار في الحدث الإنساني، والاتفاق على تصور واحد يعدّ من المستحيلات، إذ أن صيرورة الوعي في الزمن، توجب الانتقال [من.. إلى].

فلحظات الوعي لحظية، وأنية لا تستقرّ على حال، فنحن لا نستحمّ في النهر مرتين ذلك هو التأسيس الفلسفي لمبررات الاختلاف.. والمتفق بين أصحاب التخصص أن الأشكلة تزداد حدة كلما اقتربنا من ساحة المقدّس، والدين نموذج حي لهذه الوضعية المتأزّمة، فالدين الإسلامي رسالة الله إلى العباد جميعا دون استثناء، ذلك هو المعنى البسيط الذي يدركه المعتقّد بهذا الدين، ولكن الممارسة، والاعتقاد السائد يشير إلى نخبوية، واحتكار للعقيدة، فالإسلام دين فئة، وممتلك للفرقة الناجية فقط.

البحث في المفهوم والمصطلح الإسلامي اقتضاء يفرضه الراهن الإسلامي، فالاختلاف حول الدلالة، وحول المشروع عرفت القدماء من السلف الصالح، ودوّنوا فيها المصنّفات، وابتكروا فيها فنون المناظرة، وأساليب في الحجاج خلافا للمعاصرين الذين اجتهدوا في إقصاء الآخر، وأصبح الآخر محاكيا عندهم للغوييم، وهي من الرواسب الصهيونية في الفكر الإسلامي المعاصر.

والاختلاف في الاصطلاح على العلم من حيث دلالته، ملمح يؤكد الثراء الذي يحمله العلم من حيث محتواه، أو أن اللحاظ التي يملكها العلم تتقاطع به مع علوم، ومجالات أخرى مثل علم الكلام، فهو من حيث البناء الفونولوجي للكلمة يتقاطع مع علم اللغة أو الدراسة التي تجعل من الكلام،

واللسان، والنطق، واللغة مبحثا له، ويبدو أن هذا اللون من المباحث الفلسفية في اللغة قد تأسس مع المسلمين، وإن كان الخلف في المجتمع الإسلامي قد أضاعوا جهد الآباء في البحث، والاختلاف بين المدارس اللغوية، والنحوية في العراق وفي جميع الأمصار في المدينة العربية الإسلامية، فالبحث في أصل اللغة عندهم، وانقسامهم إلى مدارس، مدرسة الوحي، ومدرسة التواضع .. يؤكد هذا المنحى الابداعي عندهم، والعلاقة بين هذه البحوث اللغوية وعلم الكلام ظاهرة في النص المعتمد في تفسير النظرية، فكل من هؤلاء انطلق من النص القرآني: " وعلم آدم الأسماء كلها"، " وكلم موسى تكليما.." فالنص القرآني يؤسس لكثير من البحوث النظرية، والعملية. وسندستشف من خلال التسميات، والاصطلاحات المتعددة لعلم الكلام طبيعة العلم، وخصوبته، وإمكاناته المعرفية، والسلوكية التي يملكها..

علم الفقه الأكبر:

الفقه في اللغة: العلم، والفقيه هو العالم، وتوصيف علم الكلام بالفقه الأكبر دالة على أهمية وخطورة العلم، وعظمة المتخصص في الحقل، فهو مادة معرفية للمعارف الرئيسة التي يحتاجها المؤمن، فالمعارف المتضمنة في هذا العلم تؤهل المؤمن للوصول إلى مرتبة الكمال المفترض لإيمان المسلم، وقد جاء في تاريخ علم الكلام أن الإمام أبوحنيفة النعمان، هو من اصطلح على علم الكلام بعلم الفقه الأكبر، إذ ورد في الفقه الأبسط: "... اعلم أن الفقه في الدين أفضل من الفقه في الأحكام والفقه هو معرفة النفس مالها، وما عليها، وما يتعلق بالاعتقادات هو الفقه الأكبر، ولأن يتفقه الرجل كيف يعبد ربه، خير له من أن يجمع العلم الكثير.." ¹

وقد أخذ الفكر في التراث الإسلامي كثيرا من الدلالات حسب مجال التخصص، فالفقه الأكبر عند علماء الأخلاق هو الأخلاق، أي العلم الذي يبحث في السلوك النموذجي، والسليم، وفي كيفيات، وآليات تحقيقه، والإمام أبو حنيفة النعمان يصطلح على علم الكلام بالفقه الأكبر لجلالة الأهمية التي يضطلع بها، فالطريق إلى معرفة الله مدخل لصحة العبادات، وشرائط قبولها، فهو يميز بين الفقه، والفقه الأكبر، فالفقه هو العلم الباحث في الأحكام العملية الفرعية، من حيث إن هذه الأخيرة تبني على صحة الاعتقاد بأصول الدين من معرفة بالشارع سبحانه وبصحة ورود الشريعة ووجوب التزام المكلف بها، ومن ثم كانت هذه أصولا، والأولى فروعاً ². فمجال الفقه الأصغر الجزئيات، ومجال الكلام

¹ كمال الدين البياضي، إشارات المرام من عبارات الإمام أبي حنيفة النعمان، دار الكتب العلمية بيروت، الطبعة الأولى 2007 ص: 15

² حسن محمود الشافعي، المدخل إلى دراسة علم الكلام، مكتبة وهبه، القاهرة، الطبعة الثانية 1991 ص: 14

الكليات، فالفقه تقنين لأحكام تنظيمية شرعية وضعها الشارع لحفظ مصالح العباد على مستويات متعددة، فردية وجماعية.

ويبدو أنّ هذه الدلالة قد بقت متداولة بين المتأخرين من العلماء، حيث نظر إليه على أنه مدخل نظري للأحكام الفقهية، وللا التزام الديني، إذ نجد التفتازاني³ يورد المفهوم نفسه، حيث جاء فيه: "اعلم أن الأحكام الشرعية منها ما يتعلق بكيفية العمل وتسمى فرعية وعملية، ومنها ما يتعلق بالاعتقاد وتسمى أصلية واعتقادية، والعلم المتعلق بالأولى، يسمى علم الشرائع لما أنها لا تستفاد إلا من جهة الشرع، ولا يسبق الفهم عند إطلاق الأحكام إلا إليها، وبالثانية علم التوحيد والصفات لما أن ذلك أشهر مباحثه وأشرف مقاصده".⁴

تفيد هذه الإشارة إلى خطورة هذا العلم، فالممارسة اليومية للشعائر، لدى الفرد، والجماعة تقتضي الاطلاع على نتائج علم الكلام، فالفقه الأكبر هو الأرضية التي تستمد منها الأحكام التجزيئية الفقهية قوتها الحجاجية، والأصولية.

علم أصول الدين :

من التسميات المتعددة التي عرف بها علم الكلام علة أصول الدين، فهو علم باحث في الأحكام الاعتقادية المأخوذة من الدين أو الشرع الإسلامي... والأصل ويبدو أن هذه التسمية قديمة أيضا، ولعلها ترجع إلى القرن الثاني الهجري، وهي تعتمد على تقسيم الأحكام الشرعية إلى أصول وفروع ومن أقدم ما وصلنا من استخدامكم لها صنيع الأشعري في كتابه الإبانة عن أصول الديانة أي أصول الدين، و عبد القاهر البغدادي الأشعري المتوفى سنة 429 هـ في كتابه أصول الدين، و اللالكائي في كتابه أصول السنة وقد مات سنة 418 هـ.

وهو باب من الإعجاز في أصول الدين يدور النظر فيه على فحص العقل في التحسين والتقبيح، في الإحالة والتصحيح، والإيجاب والتجوز والاعتقاد والتعديل والتحويل والتوحيد والتفكير، والاعتبار فيه ينقسم إلى دقيق ينفرد العقل به، وجليل ينزع إلى كتاب الله تعالى فيه⁵.

³ الإمام سعد الدين ولد بتفتازان سنة 722 أخذ عن أكابر أهل العلم في عصره كالعضد وطبقته وفاق في النحو والصرف والمنطق والمعاني والبيان والأصول والتفسير والكلام وكثير من العلوم وطار صيته واشتهر ذكره ورحل إليه الطلبة وشرع في التصنيف وهو في ست عشرة سنة [2]، وكان قد انتهت إليه معرفة علوم البلاغة والمعقول بالمشرق بل بسائر الأمصار لم يكن له نظير في معرفة هذه العلوم مات في صفر سنة 792 ولم يخلف بعده مثله.

⁴ سعد الدين التفتازاني، شرح العقائد النسفية، تحقيق: أحمد حجازي السقا، مكتبة الكليات الأزهرية، الطبعة الأولى 1987 ص: 10

⁵ صابر عبده ابازيد، علم الكلام الإسلامي، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر، الطبعة الأولى 2010 ص 22

ويمثل علم الأصول المرجعية الاستدلالية للأحكام الفقهية، فهو ربيب المنطق، على قاعدة الصيانة التي يحملها علم المنطق في غاياته التعليمية، وهو علم أبدعه مفكري الإسلام، والملمح الإبداعي فيه يظهر في طبيعة التأسيس النظري البرهاني للأحكام الشرعية، فهو علم يستمد مجاله البحثي من علوم الحديث، وعلوم القرآن، وعلوم اللغة: نحو، صرف، إعراب.. ووجه الشبه بين علم الأصول كما يعرف حالياً، وعلم الأصول كاصطلاح على مباحث علم الكلام يكمن في الحجاج الموظف، ومستويات القراءة المتعددة التي أخضع لها النص، وفضاءات التأويل من بركات هذا العلم أيضاً.

علم العقائد:

وهي أحدث نسبياً من التسميات السابقة، ولعلها ترجع إلى القرن الرابع، والعقائد جمع عقيدة وهي فعيل بمعنى مفعول أي المعتقدات الدينية، والمقصود بها القواعد أو الأحكام الشرعية الاعتقادية التي يطلب من المكلف الاعتقاد بها أي الإيمان بصحتها كما شرحها التفتازاني في النص المذكور آنفاً، مثل: الله واحد، الشريك محال، البعث حق، ونحوها.

ويبدو أن هذا المصطلح يقترب كثيراً من الحقل المعرفي الذي اهتم به علماء الكلام، فالعقائد هي جملة الأفكار أو الرؤى الفكرية التي تحدد موقف الإنسان من الكون، ومن جزئياته، فالعقيدة والاعتقاد مسألة ضرورية في الممارسات الإيمانية، ولتمييز الاعتقادات الصحيحة من الخاطئة في مجال العقيدة، ينبغي معرفة الأصول الاستدلالية لكل رأي أو اعتقد، ومنه لزم التعرف على أساليب المنطق في الحجاج والاستدلال، فهو إذن بحث، ودراسات تشتغل على تحديد، وتصويب للاعتقادات نحو العقيدة الأصيلة، والصحيحة.

علم التوحيد:

يمكننا أن نستشف من خلال التسميات المتعددة لهذا العلم امتدادات الحقل المعرفي الذي يميز هذا النوع من الدراسات، فالتوحيد أصل العقيدة الإسلامية، والمطلب الذي جاءت به الرسالات السماوية السابقة، فالتوحيد فعل عقائدي ينطلق من مقدمات نقدية لكل معتقد منحرف، أو يسعى إلى مراجعة نقدية لكل الرؤى الإنسانية للكون، خصوصاً إذا كانت هذه الرؤيا ضالة بالمفهوم المعرفي، وليس بالدلالة العقدية، فعلم التوحيد يحدد الآليات، والضوابط النظرية، والمسلكية للاعتقاد السليم، فهو في الحقيقة ليس هو إحدى الصفات الإلهية فحسب، بل هو شعار الملة الإسلامية كما يقول البيروني، وهو الصفة التي عرف بها الإسلام من بين الأديان العالمية .. فلا غرو أن يتخذ علم العقائد الإسلامية هذه السمة الغالبة أو الهدف المقصود من دراسة العقائد اسماً له؛ واسمه علم التوحيد، لأن وحدانية الله أشهر مباحثه وأشرف أجزائه، والتوحيد تفعيل النسبة لا الجعل؛

فمعنى "وحدت الله" نسبت إليه الوجدانية لا جعلته واحدا، فان وحدانيته ليست بجعل جاعل، فالتوحيد الإيمان بالله وحده، ويتبع ذلك الإيمان بما شرع".

علم التوحيد والصفات:

يقع التوحيد في قلب العقيدة الإسلامية، من حيث هو الأصل، والمقدمة التي تقتضي صحة، ونجاعة النتائج، حيث يكون المترتب عن الاعتقاد في التوحيد مجرد لازم عن الأصل الذي هو التوحيد، وعليه أسس السلف اسم العلم من خلال هذا المبدأ، فمجال التوحيد لا ينحصر في الأفكار النظرية، بل ينبغي أن يظهر على كمستوى الأفعال والسلوك، فهناك مجالين للتوحيد، توحيد أقوال، وتوحيد أفعالي، وعلى مستوى كيف نجد التوحيد الإيجابي، والتوحيد السلبي، وعليه فإن توحيد الله مقدمة، ومقصد رئيس في العلم.

نجد هذه التسمية في مصادر قديمة نسبية مقدّمة "شرح العقائد النسفية وقد عللها بقوله: "لما أنّ ذلك . يقصد مباحث الصفات . أشهر مباحثه واشرف مقاصده"، ولا شك أن البحث حول الذات الإلهية وما يتعلق بها من الصفات والأفعال هو أهم مقاصد علم الكلام او كل مقصوده عند البعض، والصفات الإلهية أهم تلك المباحث، وحولها اختلفت آراء المتكلمين إثباتا أو تعطيلًا، وتحقيقًا أو تأويلًا..⁶

الأصل في التسمية هو القصد الرئيس في مباحث هذا العلم، فالكلام الإلهي، والإرادة، والعدل... والصفات الإلهية التي كانت محل جدل بين المدارس الفقهية والكلامية كانت في النهاية تهدف إلى توحيد الله وتنزيهه، ولذا عرف علم الكلام بالمقاصد التي كان يرمي إليها. علم النظر والاستدلال:

ذكر هذا الاسم في مقدّمة شرح التفتازاني للعقائد النسفية، والشيخ محمد يوسف موسى أيضا في مادة التوحيد من الطبعة العربية لدائرة المعارف الإسلامية، والنظر هو التفكير في الأشياء، وإعمال العقل في الظواهر الطبيعية والإنسانية، وحصر علم الكلام في مسائل النظر، والاستدلال يكشف عن الطابع البرهاني، والحجائي الذي ميّز هذا اللون من البحث، والعلم القريب من هذه التسمية هو المنطق، والملمح المميز لاصطلاح المسلمين هو التركيز على المسألة المنهجية في العلم، وليس الغاية منه، ولوراجعنا تعريفات المنطق عموما لوجدناها تحصر دلالة العلم أي المنطق في الغايات التي يرمي إليها، وهي اجتناب الزلل في الاستدلالات..

⁶ سعد الدين التفتازاني، شرح العقائد النسفية، ص : 14

أما التعريف الإسلامي لعلم الكلام فيركّز على الحركة البرهانية والاستدلالية للعلم. وقد أورد الفيلسوف المغربي طه عبد الرحمن هذا المعنى، يقول: "علم النظر أو علم الاستدلال وأريد بفتح الدال به علم الكلام بوصفه العلم الذي يختص بالاستدلال على العقائد، إن إثباتا لصحتها أو إبطالاً لما يعارضها من الشبه والأهواء".⁷

ومن خلال التعريفات المتعددة التي أعطيت لهذا العلم تتكشف لدينا التقاطعات القائمة بينه، وبين العلوم الدينية، مثل علم الحديث، علم الأصول، علم الأخلاق...

علم الكلام:

علم الكلام هي التسمية الشائعة لهذا العلم، وتفسير التواضع راجعة لجملة من المبررات، أهمّها، تضمن هذا العلم المبحث الرئيس الذي كان موقع الأشكلة بين الفرق الكلامية، والذي هو كلام الله، ويذكر التفتازاني علل أخرى للتسمية، تتجاوز المجال الضيق الذي هو كلام الله، إلى تباين الأقوال في المشاكل العقيدية، يقول: "...لأن عنوان مباحثه كان قولهم الكلام في كذا وكذا، ولأن مسألة الكلام كانت أشهر مباحثه وأكثرها نزاعاً وجدلها...، ولأنه يورث قدرة على الكلام في تحقيق الشرعيات، وإلزام الخصوم بالمنطق للفلسفة".⁸، ويمكن القول أن دلالة العلم لا تخرج عن وجهين: وجه متعلق بالتعريف على مرجعية القضايا، والمواضيع التي يتناولها العلم، ووجه حجاجي غلب فيه طابع المحاجة على أصحاب التعريف، وهو المنحى الغالب على علم الكلام.

علم الكلام من زاوية الموضوع:

غلب هذا المنحى في التعريف على كثير من المواقف الفكرية والمذهبية في تاريخ علم الكلام، ومن بين هذه التعريفات التي تندرج في هذا السياق تعريف عضد الدين أفيجي (756 هـ) الذي جاء فيه: "الكلام علم نبحت فيه عن ذات الله تعالى وصفاته، وأحوال الممكنات من المبدأ والمعاد على قانون الإسلام، والقيد الأخير لإخراج العلم الإلهي للفلاسفة... الكلام علم باحث عن أمور يعلم منها المعاد، وما يتعلق به من الجنة، والنار، والصراط والميزان والثواب والعقاب، وقيل الكلام هو علم بالقواعد الشرعية الاعتقادية المكتسبة من الأدلة".⁹

⁷ طه عبد الرحمن، تجديد المنهج في تقويم التراث، ص 382

⁸ سعد الدين التفتازاني، شرح العقائد النسفية، ص: 15

⁹ الأيجي، المواقف، عالم الكتب، لبنان، ص:

والغرض من تعريف الكلام بقضائاه يكون تقديمًا لمضمون الاعتقاد الإسلامي للغير، فالإشارة إلى مسائل اعتقادية في الكتابة أو في سياق الحاجة يمكن المخالف من التعرّف على العقيدة، وعلى أحقيتها، وهذا ما تبين من خلال المناظرات الكلامية التي يزخر بها التراث الإسلامي، فالمحاجة تكشف عن عمق، وسعة الإطلاع بالمسائل الاعتقادية عند الإنسان، فالعقيدة الإسلامية على قاعدة الخاتمية تتمتع بحجية لا تجد لها نظيرًا في العقائد الأخرى

علم الكلام والحجاج:

يمثل الحجاج العنوان الأساس لعلم الكلام، إذ كانت المناظرات الكلامية بين علماء المدارس، سيرة رئيسة في تاريخ هذه المدارس، فكانت دراسة المنطق وآلياته ضرورة وجودية قبل أن تكون منطقية، وفي تعريف الفارابي إشارة إلى هذا الملمح: "وصناعة الكلام يقتدر بها الإنسان على نصره الآراء والأفعال المحدودة التي صرح بها واضح الملة، وتزييف كل ما خالفها بالأقاويل، وهذا ينقسم إلى جزءين أيضًا: جزء في الآراء وجزء في الأفعال. وهي غير الفقه يأخذ الآراء، والأفعال التي صرح بها واضح الملة مسلمة ويجعلها أصولًا، فيستنبط منها الأشياء اللازمة عنها.

والمتكلم ينصر الأشياء التي يستعملها الفقيه أصولًا من غير أن يستنبط عنها أشياء أخرى، فإذا اتفق أن يكون لإنسان ما قدرة على الأمرين جميعًا فهو فقيه متكلم، فيكون نصرته لما بما هو متكلم، واستنباطه عنها بما هو فقيه..¹⁰

يميز الفارابي بين أوجه علم الكلام، فهو علم الحجاج العقلية، المعتمد في الدفاع، ونصرة الآراء، ويكون في مستويين: مستوى القول، ومستوى الفعل.

المستوى القولى [الخطاب]:

اهتم علماء الكلام في التراث الإسلامي ببنية الخطاب، فالمعاني المقصودة، لا تكون إلا في خطاب متماسك، وسليم، ولذا اهتم أصحاب الفن بآليات المنطق، لضبط المقاييس الموجهة للأحكام نحو الصواب والصدق، كما ركز العلماء أيضًا على دراسة علوم اللغة، النحو، والصرف، وعلوم البلاغة البيان والبدیع، على قاعدة وجوب الفهم الدقيق للمعاني المتضمنة في بنية الخطاب.

المستوى الأفعالي: السلوك.

يمثل الخطاب في الشريعة الإسلامية المدخل السليم للفهم، ولكن الجانب المعتمد في قياس الصدق، والصواب هو الأفعال، الممارسة، والنصوص المتضمنة في التراث الإسلامي دالة على ذلك: "لا

¹⁰ الفارابي، أبو نصر، إحصاء العلوم، ص: 71

يعرف الحق بالرجال، ولكن يعرف الرجال بالحق". ادعوا الناس بأخلاقكم.. كونوا دعاة صامتين.. والتراث الإسلامي زاخر بهذه الدلالات.

والنظر إلى الفعل في علم الكلام يؤسس لقاعة اعتماد العرف، والعادات الاجتماعية كمعيار للحجاج، فالتراث الثقافي للجماعة يمكن اعتباره حجة في إثبات صحة حكم أو فكرة ما، وهذا ما أشارت إليه مدرسة الحوليات الأوروبية في دراسة الأحداث التاريخية.

ونفس المعنى نلمسه في النص الخلدوني، حين يقول: "واعلم أن المتكلمين يستدلون في أكثر ما حولهم بالكائنات وأحوالها على الوجود الباري تعالى وصفاته، وهو نوع استدلالهم غالبا، ولكن إذا نظر المتكلم في الموضوعات الطبيعية إنما ينظر فيه من حيث أنها تدل على الفاعل أو الموجد، أما نظر الفيلسوف في الإلهيات فهو نظري في الوجود المطلوب وما يقتضيه لذاته".¹¹

ولتقريب معنى اعتبار الفعل مقياسا لصحة المعتقد، وليس العقيدة، فالعقيدة تبقى متعالية على الملتزمين بها، أو المعتقدين في صحتها، الوضع الجديد الذي تعايشه الأمة الإسلامية مع الجرائم التي ترتكبها الحركات المدعية الإسلام، فجرائم القتل والاعتصاب التي تقوم بها هاته الجماعات كافية لبيان بطلان المعتقد الذي يتبناه هؤلاء، ومروق هؤلاء المجرمين، فالعمل والسلوك معلم في علم الكلام، ومنه يتبين أن علم الكلام في الثقافة الإسلامية ليس بحثا تجريديا خالصا، بل علما نظريا، وعمليا أيضا. وهناك نمط من التعريفات تعتمد القضايا المبحوث فيها، كمرجعية في التعريف، والذي يدل على الاهتمام الواسع عند علماء الإسلام بالمسائل الابيستيمولوجية في المعارف والعلوم، وعلى سبيل المثال لا الحصر.

علم الكلام والايديولوجيا:

العلاقة بين المعتقد والايديولوجيا تلازمية، حيث يتحول المعتقد أمام المخالف إلى قناعة فكرية وشرعية يجب شرعا الدفاع عنها، وإضفاء الشرعية والمشروعية على القناعة تحويل للعقيدة، فالعقيدة الصحيحة هي التي تملك القدرة على احتواء الآخر، بصورة إنسانية يصبح فيها المخالف صاحب حق في الدفاع، أو ممارسة اعتقاداته، فتسفيه معتقدات الغير ينبغي الاحتياط فيه، والمشكلة في المدارس الكلامية هي السقوط في شرك الايديولوجيات، وفي هذا السياق نجد الرفض الرشدي للأساليب الكلامية، وفي النص التالي نلمس على الاستهجان عند ابن رشد لعلم الكلام:

¹¹ ابن خلدون، المقدمة، تحقيق علي عبد الواحد وافي مطبعة دار الشعب، القاهرة ، ص: 327

"ولما كان علم الكلام بقصد به نصره آراء قد اعتقد فيها أنها صحيحة عرض لأصحابه أن ينصروها بأي نوع من أنواع الأقاويل أتفق، سوفسطائية كانت وصارت هذه الأقاويل عند من نشأ عن سماعها من الأمور المعروفة بنفسها، مثل إنكارهم وجود الطبائع والقوى ورفع الضروريات الموجودة في طبيعة الإنسان، وجعلها كلها من باب الممكن وإنكار الأسباب المحسوسة الفاعلة وإنكار الضرورة المعقولة بين الأسباب والمسببات"¹²

يبين ابن رشد في هذا النص خطر التوظيفات الإيديولوجية في الإساءة إلى العلم، مهما كانت طبيعة هذا العلم، فالانتصار للعقيدة، يدفع المدافع إلى انتهاج جميع الأساليب، فالغاية تبرر الوسائل، فيقع المدافع في إشكالات تضطره إلى إنكار ما هو قائم بالحجة والبيان، وهو المأخذ الذي أخذه الفلاسفة والمفكرين على المدرسة السفسطائية، فيجدون أنفسهم في شرك الشكوك..

خاتمة:

يمكن القول أن علم الكلام كعلم حجاجي يجعل من العقيدة حقلاً للدفاع يبقى حاضراً في شتى العصور، وعند جميع الديانات، فكل من خلال التدين يروم إثبات ملكيته للحقيقة، والتي تبقى مجال بحث، وتساؤل مستمر

¹² ابن رشد، تفسير ما بعد الطبيعة تحقيق الأب مورييس يونج المطبعة الكاثوليكية بيروت 1952 ج 1 ص 43